هذه الأمة لن تموت

الدكتور يوسف القرضاوي
عميد كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
بجامعة قطر

« الأمة » :

عنوان هذه المجلة الاسلامية الجامعة الفتية : كلمة معرّفة بـ«ال» العهدية ، كما يقول علماء العربية ، فهي تشير إلى معهود في الذهن ، مرسوم في الفكر ، محفور في القلب ، وهو الأمة ، التي لا يعرف المسلم غيرها ، فإليها ينتمي ، وبها يعتز ، وفي سبيل بقائها وكرامتها يجاهد ، واعني بها «أمة الاسلام» .

إنها الأمة الواحدة ، التي تؤمن برب واحد ، هو الله تعالى ، وتؤمن بكتاب واحد ، هو القرآن الكريم ، وتؤمن برسول واحد ، هو محمد عليه الصلاة والسلام ، وتتجه كل يوم خمس مرات إلى قبلة واحدة ، هي الكعبة ، بيت الله الحرام .

إنها تتكون من شعوب وقبائل في اقطار واقاليم ، ولكنها مع هذا تظل امة واحدة ، جمعتها العقيدة ، وربطت بينها الشريعة ، ووحدت بين اذواقها ومشاربها القيم والاداب الاسلامية ، وعاشت تاريخا مشتركا في انتصاراته ومآسيه ، وعانت حاضرا مشتركا في آلامه وآماله .

ولهذا لا يجوز لنا ان نقول «أمم إسلامية» بل «شعوب إسلامية» لأمة واحدة ، خاطبها الله تعالى بقوله «وإن هذه امتكم امة واحدة ، وانا ربكم فاتقون» «٥٢ المؤمنون»

إنها امة واحدة في الغاية والوجهة ..

واحدة في الأفكار والمفاهيم ..

واحدة في المشاعر والأحاسيس ..

صَوّر الرسول صلى الله عليه وسلم وحدتها في ذلك فمثّلها بالجسد الواحد ، إذا اشتكى منه عضو ، تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى .

وهى امة متميزة بمقوماتها وخصائصها .

ومن هذه الخصائص أنها امة «ربانية» .

لم تنشأ بمجرد المصادفة ، انها وجدت في اقليم واحد ، او انتسبت إلى عنصر معين ، كبعض الأمم ولم تنشأ كذلك بارادة فرد ، أو إرادة حزب ، او إرادة طبقة ، او إرادة مجلس نوري او منتخب . إنما انشأها الله لتؤدي رسالتها في الوجود كما قال سبحانه «وكذلك جعلناكم امة وسطا» «١٤٣ البقرة» .

فالله هو الذي جعلها كذلك واعدها لذلك ، لتقوم بدورها في الناس.

خصائص متفردة

● ومن خصائصها : ما اشارت إليه الآية الكريمة وهو «الوسطية» فهي امة وسط في كل شيء ، في التصور والاعتقاد ، وفي التعبد والتنسك ، وفي القيم والأخلاق ، وفي العمل والسلوك ، وفي التشريع والتنظيم ، وفي السياسة والاقتصاد ، وفي العلاقات كلها داخلة وخارجة ، لا تهمل المادة لحساب الروح ، ولا الروح لحساب المادة ، ولا يضخم الفرد فيطغى على المجتمع ولا المجتمع فيطغى على الفرد ، وإنما يعطى لكل جانب حقه ، ويطالبه بواجبه في غير طغيان ولا إخسار ، كما قال تعالى «الا تطغوا في الميزان ، واقيموا الوزن بالقسط ، ولا تخسروا الميزان» «٨ ـ ٩» الرحمن .

● وهى امة ذات رسالة عالمية ، ليست امة اقليمية ولا قومية ، بل وضعها الله في مقام الاستئناية للبشرية كلها ، والهداية للناس كافة .. وهذا معنى قوله تعالى : « .. وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس» «١٤٣ البقرة» وقوله جل شانه «كنتم خير امة اخرجت للناس ، تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر ، وتؤمنون بالله» «١١٠ ال عمران» .

فهذه الأمة لم تنبت وحدها كالنبات البري او الشيطاني ، كما